اسم الكتاب

لمـــاذا تـــسرع الحـيـــاة حـين نـــصبح أكـبر سـنـــاً ؟

ترجمة :عادل العامل

لقد كان فرويد يرى كما هو مشهور ان الانتقائية التي يتسم بها تذكرنا الفردي ليست الا امرا اتفاقيا (أي غير مقصود) فقد كانت الذكريات المؤلمة وغير السارة، غير قادرة على ان تجد لها تعبيرا واعيا، تعامل بالكبت، وتخنق عندما تسعى لان تصبح صريحة، اما الذكريات المغتالة فلم يكن من السهل جدا في اعتباره التخلص منها، ومع انها تكون مختبئة مترصدة بشكل منذر بالسوء تحت محاولات المرء تعزيز صورة الحالة السيئة، فانها تكون قد ازاحت نفسها في اتجاهات لافتة رنانة رمزيا ظاهرة الى السطح كاعراض غريبة ومضعفة كانت معانيها قابلة للاستعادة فقط من خلال خيمياء المحللين النفسانيين الغامضة (والمتطاولة ربما مع هذا) فحتى على سرير التحليل، كان جعل اللاوعي واعيا، كما اصر فرويد، عملية مشحونة على نحو عميق وضروري اذ كانت النفس تقاوم أي ابدال بسيط للواحد منهما بالآخر، مستخدمة كل انواع الدفاع ضد واقعه وجدت ان من المؤلم جدا التفكير بها، وعلى هذا الاعتبار، فان ذكرياتنا المخزونة من تجاربنا الشخصية ليست مجرد ذكريات عرضية، لكن غير قابلة للتعويل عليها، وموجهة نظاميا ضد التذكر الصريح لما يجرح النفس، واذا ما كانت سنواتنا المبكرة جدا هي الاكثر حسما بالنسبة لتشكيل شخصيتنا، فانها محجوبة في وقت واحد فيما يدعوه فرويد فجوة الذاكرة amnesia الطفولية، والذكريات التي تفلت من هذا الثقب الاسود هي على ما يُزعم ذكريات شاشة screen، تذكرات لطيفة ظاهريا وحتى تافهة تغطي آثار ماضينا الاكثر اثارة للازعاج.

انها لحكاية جن باعثة على الاعجاب وهي ككل القصص المماثلة تتضمن بعض العناصر المألوفة التي بامكاننا جميعا اقرارها، والموافقة عليها فهي تضفي على القصة السحر والمقبولية، وان النوعية العرضية لذكرياتنا وعدم امكانية التعويل عليها (مثلا ميلنا الى دمج ما يمكن ان يكون آخرون قد اخبرونا عن الماضي بما نعتبره ذكرياتنا نحن) هما امران مألوفان لنا جميعا. ولقد سجل جان بياغيه ذكرى اولى مفعمة بالحيوية من طفولته المبكرة، حادثة حصلت حين كانت مربيته تنزهه في عربة اطفال اسفل الشانزليزيه، فحاول رجل اختطافه، وصدته شجاعة المربية، التي قاتلت اللص المفترض، وكانت ذكريات بياغيه دقيقة، فقد تذكر الحشد الذي تجمع في تعاطف وبزة الشرطي الذي حضر والخدوش التي على وجه المرأة الشجاعة، وموقع الاعتداء، ومع هذا تبين بعد سنوات ان الحادث كله كان ملفقا.. لا من طرف بياغيه، وانما من طرف مربيته نفسها، وقد كتبت الى والديه معترفة بخطاياها (بما في ذلك الخدوش التي احدثتها بنفسها) ومعيدة الساعة الذهبية التي كانت قد اعطيت لها لشجاعتها، فما كان قد سمعه جان وهو طفل انسل الى ذاكراته في صمت، وصار ما دعاه لاحقا على نحو ساخر بـ(ذكرى ذكرى، لكن زائفة) هذه الحيل التي يمكن ان تلعبها معنا ذكرياتنا، وفي الوقت نفسه مركزانية قوى تذكرنا بالنسبة لاحساسنا بمن نكون، بالنسبة لامكانية امتلاكنا الوعي الذاتي والهوية الشخصية تقع في لب السلسلة الجميلة من المقالات التي تؤلف كتاب دو درائيما الجديد، لماذا تسرع الحياة حين نصبح اكبر سنا، اما ادعاءات فرويد حول اصول لاعصمة الذاكرة، وقصة بياغيه حول قوى تذكره المخدوعة فتقعان في الصفحات الاولى حين يتولى موضوعة تذكرنا المبكر جدا، لكن وكما توحي به (ذكرى) بياغيه وهي رغم كل شيء حكاية خوف وأذى فان التفسير الفرويدي يتطابق من بعض النواحي بشكل هزيل الى حد ما مع ما يكشف عنه البحث في هذا الاقليم، كما يبدو، فبدلا من اظهار ما هو جرحي، فان الذكريات المبكرة جدا لمعظم الناس تتألف الى حد كبير من المخيف المؤلم، الصادم.

ان هناك، كما يوضح درائيما تفسيرات متنافسة للفجوة في ذاكرة الطفولة متيسرة لدينا. وبعضها يتعلق بدراسة الجهاز العصبي: ان عدم نضج مناطق معينة من الدماغ، وبشكل مهم قرن آمون امر يحتج به في بعض النقاط لتفسير استحالة استرجاع آثار الخبرات المبكرة، غير ان الاطفال لا يتذكرون في سن مبكرة جدا، وهذا يلقي بالشك على الادعاءات الشاملة، وتؤكد غيرها، ربما بشكل اكثر معقولية، على ارتباط الذاكرة بالمهارات اللغوية، فاللغة تسمح لنا بالتحدث عن احداث الماضي، وبالتالي، المساعدة، مثل التكرار في زيادة فرصنا لتذكرها، ومع هذا وعلى العكس، فان اللغة تسمح بتطور قدرات التفكير المجرد، ترتيب الخبرات الفردية في مقولات.

ويستطيع هذا، بدوره، ان يعزز التشويش بشأن الواقعة المفردة ودمج ما كان فيما مضى حوادث منفصلة، ثم هناك اهمية الاحساس بالذات، الذي من دونه لا يمكن اختزان الذكريات كتذكرات شخصية، وعلى هذا فان مجموعة حاسمة من التبصرات في التمييز ما بين انا وانت يجب ان تتراكم قبل ان يستطيع المرء ان يبدأ بتكوين ذكرى من ذكريات السيرة الذاتية، وهي فكرة يوضحها درائيسما بمقاطع من فابوكوف وايديث هو وايديث هوارتون.

ويضمن درائيس كتابه هذا شخصيات من علم النفس وطب النفس في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، ونظرائهم المعاصرين واطباء امراض عصبية و علماء اعصاب وكذلك روائيين واناسا عاديين.

والنموذجي هنا رغبة درائيما في التجوال الى ما وراء الحدود الضيقة لزملائه الصارمين. فالسايكولوجيا الاحترافية، كما يذكر في اكثر من مناسبة قد تطورت بطرق تجعل قضايا التقدير والتكرار والقياس امرا مركزيا بالنسبة للمشروع العقلي، ويعتمد الاكاديميون على التجارب والآلات وتعكس اتجاهات عملهم ما تسمح به تقنياتهم وتشجع اكثر ما يجده بقيتنا مهما بشأن السايكولوجيا الانسانية، وتتراكم النتائج حول التعلم والتذكر والتعرف والتوليد لكنها تفعل هكذا في عالم مقبوض ومقلص عالم يستبعد الموضوعات التي يصعب الوصول اليها عن طريق التجارب والقياس التي ابقيت بعيدة عن اجندة البحث، اما مؤقتا او ابدا.

ويطوف درائيسما على نحو واسع عبر الاقليم المستكشف بشكل بسيط ذلك ان المحترفين قد نحوه جانبا بسرور، ونجده هنا يبدي سروره الخاص في الالغاز التي يكشف عنها والطرق التي يمكن للمرء ان يفكها بها، فمثلا لماذا نحن لو رددنا صدى فيلسوف القرن التاسع عشر ف.هـ. براولي، نتذكر بطريقة امامية وليس خلفية؟ فنحن نلتفت الى الاحداث الماضية من وجهة نظر الحاضر، ومع هذا نشغل ذاكراتنا من الماضي الابعد باتجاه الحاضر، ماذا سيحدث لو امتلكنا ذاكرة كاملة بدلا من ان ننشئ حيواتنا وهوياتنا على اساس من كثرة النسيان، خلفية من الظلال والعتمة؟ يروي لنا درائيما حكاية خرافية لجورج لويس بورخيس حول رجل معذب بهذه القوى، ثم يكشف النقاب عن حالة يهودي روسي، سولومون شيراشيفيسكي الذي كان بالفعل يمتلك ذاكرة مثل شخصية بورخيس القصصية، فان نتذكر جيدا جدا ان نحمل معنا عبء الماضي بكامله، لهو امر غامر معرفيا وعاطفيا فضلا عن كونه مزعجا ومربكا بشكل عميق.

وعلى مسافة كبيرة من شيراشيفيسكي ما الذي نفهمه من اطفال ذوي اعاقات شديدة، التوحد او الفكر المحدود، الذين يمتلكون ولو في اتجاهات ضيقة جدا قوى مذهلة من الذاكرة، اطفال مثل العبقريين الفرنسيين في الحسبان هنري موندو، وجاك اينودي اللذين باستطاعتهما ان يحسبا بافكارهما معادلات حسابية معقدة او مثل اولئك الذين بامكانهم كديف Dave، وهو صبي معوق ذهنيا بحاصل ذكاء خمسين تقريبا ان يبينوا حسب الطلب أي يوم من الاسبوع يصادف تاريخا معينا بعيدا في المستقبل او في الماضي، او الذين يمكنهم مثل ستيفن ويلتشاير، ان يروا الى بناية ويرسموها يدويا بتمكن مدهش من الرسم المنظوري، ما الذي يمكن ان تفسره حالات شذوذ كهذه، وما الذي يمكن ان تفسره الحالات فيما يتعلق بأسس بعض انواع الذاكرة البشرية؟ وكيف ننتقل الى مشهد اكثر رعبا،كيف يمكننا ان نفسر الحوادث المحيطة بمحاكمة جون ديمجانجوك وهو اوكراني متهم بكونه حارس اعتقال وحشياً الى درجة لا توصف يلقب بايفان الرهيب، ويعرفه هكذا اولئك الذين بقوا بطريقة ما على قيد الحياة من فظائع تريلينكا وشهدوا ما يفعله ايفان هذا؟ وفي الحقيقة وكما يتجسد في نهاية الامر، فقد كان ديمجانجوك وحشا لعب دورا في الهولوكوست، لكنه لم يكن ذلك الوحش الاستثنائي وان كان هناك شهود عيان يؤكدون بشكل متكرر انه كان هكذا.

ولم يكن الشهود كذابين، كما يبين درائيسما وانما كانوا مخطئين لا اكثر.

ان الاحساس الذاتي بان الحياة تبدأ بالتسارع (وهو التأثير الذي يعلنه العنوان كموضوعة للكتاب. لا يظهر الا في الصفحات الاخيرة، فنحن في شبابنا نكون متضجرين من الاستمرار مع حيواتنا.

والزمن يمضي ببطء وحين نكون قريبين من نهاية حيواتنا، تنعكس العملية، فلولا ان المرض والوهن يهديان الناس لتشوق معظم الى تمديد ايامهم في الحياة، ليجدوا فقط ان خطوة الوجود المحسوسة تتسارع والزمن الاكثر قيمة ابداً ينقضي ويستعير درائيسما هنا مجاز الساعة الرملية من واحد من اكثر الناس تفهما لتأمل الواقع السوداوي، ايرنست يونغز.

تحتك حبات الرمل، في الساعات الرملية، الواحدة بالاخرى وتصبح ملساء بشكل متزايد حتى تتدفق اخيرا من دون احتكاك تقريبا من منتفخ الى الآخر، صاقلة العنق بشكل اوسع، وكلما كانت الساعة الرملية اقدم جرت بصورة اسرع".

ويقر دو درائيسما بان ابتكار استعارت لتوضيح تسارع الزمن هذا اسهل من تفسير الظاهرة، وهو يعرض لمختلف المحاولات التي بذلت لفعل ذلك، وحتى لو بقي القارئ اقل رضا بالتفسيرات المقدمة فانه ينهي الكتاب بادراك معمق لتعقيد وتقلب الذاكرة البشرية، وأحساس حقيقي بالمتعة لمقابلة مرشد مضيء ومسل ودقيق كهذا.

عن The Times Literary Supplement

اشارات المترجم:

(١)سيغموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) طبيب امراض عصبية نماوس، ومؤسس طريقة التحليل النفسي.

(٢)الخيمياء، هي الكيمياء القديمة، وكانت غايتها تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب، واكتشاف علاج كلي للمرض ووسيلة لاطالة الحياة الى ما لا نهاية.

(٣)جيش الخلاص: شبه منظمة عسكرية لنشر الدين ومساعدة الفقراء انشأها في انكلترا وليم بوث عام ١٨٦٥,

(٤)فلاديمير نابوكوف (١٨٩٩-١٩٧٧) روائي وشاعر امريكي، روسي المولد، اشهر اثاره رواية لوليتا.

(٥)التوحد autism: الاسترسال في التخيل تهربا من الواقع.

(٦)حاصل الذكاء IQ هو رقم يمثل ذكاء المرء كما تحدده قسمة سنه العقلي على عمره وضرب حاصل القسمة بمئة.

(٧)الرسم المنظوري: فن رسم الاشياء بطريقة تحدث في النفس عين الانطباع من حيث الابعاد النسبية والحجم الذي تحدثه هي ذاتها حين ينظر اليها من نقطة معينة.

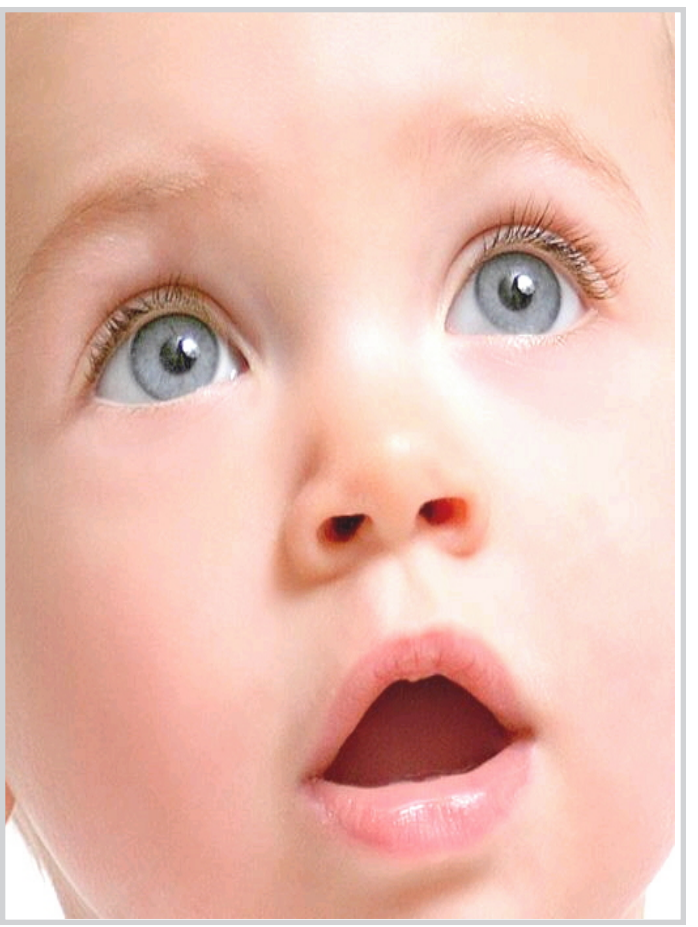

اسم الكتاب

القرن الأكثر قسوة حرب العالم

صـــراع الـقـــرن الـــعـــشرين وانـــحدار الغرب

تأليف : نيل فرغسون
ترجمة : نعم فؤاد

كان القرن العشرون الاكثر سفكاً للدماء في التاريخ. والآن فان الدمار معروف بشكل عام إلا ان اسباب صراعات القرن العشرين القاتلة ما زالت مسألة نقاش. فالسؤال الكثير التردد هو امكانية تجنب قدر كهذا في القرن الواحد والعشرين.

يعرض التاريخي البريطاني نيل فيرغسون في كتابه (حرب العالم) تحليلاً روائياً لاسباب عنف القرن العشرين وباكثر من ٦٥٠ صفحة من الصفحات الكبيرة ذات الحروف الكبيرة. وهو ممتع في قراءته (بفضل موهبة فيرغسون ككاتب ذي اسلوب كتابي واضح) وهو راو نشيط للتاريخ. وكما يظهر من عنوان الكتاب، يرى فيرغسون ان اسباباً عامة اوقدت وربطت الدمار في القرن العشرين لذا بالنسبة له فان حرب العالم بدأت بالاندحار الذي سببته اليابان للبحرية الروسية عام ١٩٠٥ ولم ينته الا بنهاية الحرب الكورية عام ١٩٥٣,

من خلال هذه النظرة فان الحرب العالمية الاولى والثانية هي الذروة في سلسلة ثورات حول العالم تتغذى كلها بتلاقي ثلاث اتونات على رأسها العامل الاقتصادي فقد امتاز القرن العشرين، بالتغيرات المستمرة في الاسعار ومعدلات النمو وهكذا فان السرعة في اتجاه الازدهار او الافلاس الاقتصادي تحدث عدم استقرار اجتماعي وسياسي، اما العامل الثاني فهو اجتماعي، التوتر العرقي ما زال ينمو ويثار بسبب الصعود والهبوط الاقتصادي لهذا القرن. اما العامل الثالث كان زوال الامبراطوريات التقليدية. فبقواها الضعيفة فقدت كل من روسيا والصين واستوريا الهنغارية والامبراطورية العثمانية سيطرتها على الاراضي الحدودية ذات الطابع العرقي المختلط. فالمناطق كانت وبشكل كبير البادئة بعنف هذا القرن وبضمنها الحرب العالمية الاولى. كما اغرى ضعف الامبراطوريات القديمة الدول الناهضة كاليابان وايطاليا والمانيا واعتنقت هذه القوى الطامعة الجديدة نظريات تطبل للتفوق الطبيعي لبعض الجماعات العرقية. ولاحقاً تقبلت القوى الامبريالية التزاوج المختلط بين الاعراق وكانت النتيجة وعاء من الاعراق المنصهرة كخاصية طبيعية للفكر الامبريالي لكن العنصرية العلمية المفروضة للطلب في النهاية اخيراً انهاء هذا الاختلاط.

الغزو الوحشي والتطهير العرقي وحتى المجازر كان من السهل توجيهها كضربة إلى اللا انسانية وان مثل هذا التفكير العنصري كان سائداً في العقود الثلاثة الاولى للقرن العشرين وكنتيجة فان الهجوم على الاقليات قد احدث هذا الاختلاط العرقي لمجتمعات شرق ووسط اوربا.

وباختصار فان الساحة كانت مهيأة للاستئصال النازي لليهود والاقليات الاخرى وباقي وسائل الهيمنة العقلية الامبراطورية. فكانت البدعة الشريرة للحملة الالمانية هي تصنيع المجازر في مصانع القتل.

في المانيا تمزق الاختلاط العرقي ارباً بسبب الاعتقاد النازي بان مزج الدماء يحط من العرق المتفوق. وكتب فيرغسون "ان اصرار هتلر لابعاد اليهود من فولكس جيمينيسكافت (وهو المصطلح النازي الذي يطلق على المجتمع العرقي الخالص) يعني تعريف واضطهاد اقلية صغيرة كان امتزاجها لا يمكن تفاديه في نسيج المجتمع الالماني" واضاف، "وقد تكون النقطة الحاسمة. ولربما في عداء النازية للسامية ان يفهم بصورة جيدة على انه ردة فعل للنجاح الكبير لاستيعاب المجتمع الالماني لليهود".

تساعد عوامل فيرغسون الثلاثة الحاسمة في شرح سبب كون صراع البلدان كان عنيفاً. وعلى الرغم من ذلك كان هناك الكثير من المؤشرات على الصراعات الوشيكة الحدوث. إلا ان الحرب العالمية الاولى فاجأت معظم الناس إلا ان بالنسبة لفيرغسون فان اندلاع الحرب كان "خطا سياسياً من الممكن تجنبه" وكان مثل دمارها الشامل "كاصطدام قطارين بصورة مذهلة". واستخلص من الناحية الاخرى بان المواجهة العسكرية مع محاور القوة كان من غير الممكن تجنبها، التي عقدت العزم على توسيع اماكن عيشهم والسيطرة على الموارد الاستراتيجية الحيوية وايجاد نظام عالمي جديد، "كان يهدف إلى ان يكون عالماً تتشاطره ثلاث دول امبراطورية امبريالية في نشر نفوذها ولكنها تأخذ شكل الدولة في جوهرها" وكتب فيرغسون "كانت النية ايجاد عاليم تتقاسمه ثلاثة اعراق متفوقة هي: الاريين والرومان والياماتو".

ان نيات محاور الشر العدائية في الثلاثينيات كان عليها ان تقنع الحلفاء الغربيين بايقاف تحركات هتلر التوسعية وهي في بداية نشأتها لتفادي محرقة الحرب العالمية الثانية وبدلاً من ذلك استجابت بريطانيا وفرنسا كما لو كانوا مشلولين واختاروا الخيار الاسوأ. لقد قبلوا الاسترخاء ربما كان سببه الاستنزاف من الصراع العظيم الذي حدث في القرن السابق او ربما حاولوا كسب الوقت الذي بددوه بانفسهم بفشلهم في اعادة تسليح الجيش. واتخاذ ما يحبط هذه الحرب المحبطة إلا ان الاسترخاء قد قاد إليها.

في كلا الحربين العالميتين الفشل المبكر للضربة العسكرية لالمانيا قد حكم على المانيا وحلفائها بالاندحار الكلي وفارضة عليهم القتال في جبهات عديدة علاوة على القابليات الاقتصادية المتفوقة لبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، واضعين قوة صناعية اضافية للحرب العالمية الثانية، ولم تستطع المانيا النازية واليابان الامبراطورية مجاراة هذه الحرب. وحاجج فيرغسون وفقاً لحصيلة الحرب كان الاتحاد السوفيتي اكثر المستفيدين من الحرب الأكثر سفكاً للدماء في التاريخ واشار "كانت وسط وشرق اوربا على طول ضفتي نهر الالب في قبضة ستالين الحديدية". مقيماً ذلك على اسس الاقاليم المضمومة او المسيطر عليها مضيفاً "ان الاستفادة الرئيسة للنصر في آسيا كان الاتحاد السوفيتي مرة اخرى". فقد ردت الصاع صاعين لليابان بدخول الحرب والسيطرة على جزر الكوريل ومنغوليا الخارجية وخطوط السكك الحديدية في منشوريا ومكاسب اقليمية، كما قسمت كوريا كزيادة للحرب الباردة.

وبعيداً عن خارطة العالم المعاد رسمها فان حروب القرن تركت ارثا مروعاً آخر وهو عدم التمييز بين المدنيين والمقاتلين. فمخيمات السخرة السوفيتية ومخيمات الابادة النازية وقصف الحلفاء المدن الالمانية واليابانية والاعدامات الشاملة، اوجدت المجاعات التي شوهت القرن. وفاقت اعداد القتلى المدنيين اعداد القتلى المقاتلين وهي ظاهرة كئيبة تتميز بها الصراعات في وقتنا الحالي ايضاً.

اما المستقبل فيتساءل فيرغسون ما اذا كانت "حرب العالم" قد انتهت فعلاً. فقد حذر من ان "قوى الشر التي تستحضر الصراع العرقي والمنافسات الامبريالية علاوة على الازمات الاقتصادية وبالقيام بذلك ننكر انسانيتنا المشتركة "ويحذر" هل ما زالت القوى المحرضة موجودة بداخلنا؟".

يرى فيرغسون بعض الاشارات المطمئنة والباعثة للامل وانه على الرغم من كل ذلك فان القرن الحادي والعشرين قد لا يعيد الاحداث المريعة للقرن العشرين لاسباب، اولها ان تعرض الاقتصاديات الرئيسة للعالم إلى هبوط الاسعار الدوري قد تضاءل بشكل ملحوظ منذ سنة ١٩٤٥, ثانياً ان التمازج العرقي على حدود إمبراطوريات القرن التاسع عشر القديمة اقل تفشياً نتيجة للقتل الجماعي والترحيل والاستيطان الجديد في القرن العشرين. واخيراً، انحلال الإمبراطوريات المعادية للتحرر وخاصة الاتحاد السوفيتي واستوريا الهنغارية وتحولها إلى ولايات وامم مستقرة نوعاً ما ومتجانسة عرقياً كبولندا والمانيا.

وفيرغسون متأكد من شيء واحد وهو "توسع السيطرة الغربية في مستهل القرن العشرين الذي كان بداية القصة التي كشفت عن ما جرى في القرن العشرين ولم يكن ذلك نصراً للغرب ولكنها كانت ازمة للإمبراطوريات الأوربية. وكانت من نتائجها ظهور القوة الاسيوية وهبوط الغرب" قد تكون هذه النتيجة الأكثر بقاءً والناتجة عن عنف القرن العشرين غير المتوازي وهذه فكرة غير متطورة في هذا الكتاب الشامل والممكن قراءته لوضوح فكرته وحجم متابعته.

عن الواشنطن بوست

اسم الكتاب

نزاع حول عصر التنوير: الفلسفة ، الحداثة ، وتحرر الرجل ١٦٧٠-١٧٥٢

حركة التنوير-إنقشاع الظلام

المؤلف: يوناثان اسرائيل
ترجمة: فاروق السعد

ان حركة التنوير بحاجة الى عملية إنقاذ، او هكذا يعتقد يوناثان اسرائيل، المؤرخ الرفيع الشأن المختص في القرن السابع عشر في هولندا. ففي ٢٠٠١ نشر " حركة التنوير الراديكالية". وهو يقدم الان الجزء الثاني، والثالث سيأتي لاحقا. ستكون هذه الثلاثية اول تاريخ شامل لحركة التنوير منذ عقود- ويبدو ان التفسير الجديد للسيد اسرائيل قد اعد نفسه لكي يبز غيره -. كانت الفترة قد عدت في يوم ما على انها فصل مجيد في تاريخ الجنس البشري، وهو الوقت الذي تغلبت فيه قوى النور(العلم، التقدم و التسامح) على قوى الظلام (الخرافة و الانحياز) . واليوم، هنالك ميل الى رفض حركة التنوير. فجماعة ما بعد الحداثة يهاجمونها لأنها منحازة، تخدع نفسها وهي في النهاية مسؤولة عن أسوء ما في الحضارة الغربية. ويتهمها جماعة ما بعد النظام الاستعماري بأنها متعصبة لأوربا، تبرير للامبريالية. ويرفض المؤرخون الوطنيون فكرة الحركة العالمية المترابطة، مفضلين الكلام عن حركات التنوير الانكليزية، الفرنسية، وحتى الأيسلندية. لقد وضع السيد اسرائيل لنفسه مهمة الدفاع عن أولائك النقاد و اعادة تقييم الفترة على انها الحلقة الحاسمة في تحرر الرجل. ان محاججته مقنعة. فهو يجادل من انه كان هنالك حركتي تنوير، احدهما راديكالية، والأخرى معتدلة. ان الراديكاليين، باستلهامهم من سبينوزا، قد كانوا ماديين، ملحدين و من المنادين بالمساواة بين البشر. اما المعتدلون، الذين كانوا يتبعون لوك و نيوتن، فقد كانوا محافظين وعددهم في التسلسل الكهنوتي الديني للقرن ١٨ بأوربا اكثر من الراديكاليين. لقد دافع هؤلاء عن قيام حركة تنوير جزئية. حسب ما يرى السيد اسرائيل، لم يقدم سوى الراديكاليين حركة تنوير حقيقية، بإعطائهم لنا ديمقراطية، مساواة، وحرية شخصية، وأخلاق دنيوية.ومن الجهة الأخرى، ترك المعتدلون إرثا غامضا و، في النهاية، مؤذيا. وفي الوقت الذي عملوا فيه على الترويج للتسامح، إلا إنهم بقوا غير مرتاحين لفكرة المساواة العالمية. وفي لوقت الذي دافعوا فيه عن العقل، إلا إنهم فشلوا في فصل الأخلاق عن الدين و حاولوا عقلنة الأيمان. يجادل السيد اسرائيل بأنه طالما يعامل المؤرخون كلا الجناحين من حركة التنوير حركة واحدة، فإنهم أساءوا فهم الظاهرة. و الأسوأ من ذلك، إنهم يقدمون الى النقاد في هذه الأيام دليلا هم بحاجة إليه لتلطيخ سمعة الحركة. ان إعادة التقييم هذه تنوي تقديم صورة غير معتادة عن حركة التنوير و حاملي رايتها. فطبقا للسيد اسرائيل لم تولد " القيم المتنورة" في إنكلترا بل في هولندا، كما انه يعيد صياغة الرجال من أمثال لوك وفولتير، وحتى هيوم، الذين كانوا يعتبرون في يوم ما رواد حزب النور، مدافعين عن النظام الاستعماري و أعداء للمساواة. ان بحث الكاتب المذهل واستيعابه للمصادر كان على درجة من الجودة حتى انه سوف لن يكون هنالك إلا القلة ممن يعترضون على جوهر نزاعه من ان حركة التنوير كانت متماسكة، ظاهرة شملت أوربا، عقلية في أساسها، والتي مثلت تحولا عميقا في الطريقة التي كان ينظر فيها الرجال الى أنفسهم و العالم المحيط بهم. يرغب السيد اسرائيل في ان يدرس كتابه خارج الأكاديميات. في عالم مثالي يقرا من قبل الجميع. عليه، فمن المخزي، بان القلة سيفعلون ذلك. وعلى العكس من أسلوب ودهاء كتاب حركة التنوير الأوائل المشهورة، فان الكتاب مطول و حافل بالتكرار، الحجج غير مباشرة و أحيانا عصية على المتابعة، ليس اقلها لان طول الجمل يصل الى ١٦٠ كلمة.

عن الايكونومست